المنظر الطبيعي مفهوم وتطبيق في الدراسات التخطيطية

د.م ناتاليا عطفة*

الملخص

يمثل مفهوم المنظر الطبيعي أحد اهتمامات العولمة الحالية والدراسات التخطيطية المعاصرة على اختلاف مستوياتها، **نظراً إلى ما يتم وفقه من تطبيق للعديد من السياسات الخضراء المستدامة بدءاً من مستوى الكرة الأرضية ونزولاً إلى مستويات القارات والبلدان والدراسات الإقليمية والمكانية لتحقيق استدامة التنمية الاقتصادية والاجتماعية المنشودة.**

هَدَفَ البحث إلى إظهار مفهوم المنظر الطبيعي وأهميته في تحديد التنمية الإقليمية والمكانية، كما بحث في إمكانية تبني هذا المفهوم كأداة تخطيطية قابلة للتطبيق في المدن السورية وأقاليمها.

تألَّف البحث من جزء نظري تضمن المدخل النظري والتعاريف، ومفهوم المنظر الطبيعي وعلاقته باستدامة الأقاليم والمدن، يليه جزء خاص بتقييم وتشخيص لمفهوم المنظر الطبيعي في محافظة ريف دمشق.

خلُصَ البحث إلى تقييم وتبني مجموعة من التوصيات والتوجهات فيما يتعلق بهذا المفهوم من خلال الدراسات الإقليمية لريف دمشق، من تصنيف للمكونات الطبيعية في المحافظة ووضع الاستراتيجيات المناسبة لكل مكون. يفيد هذا التصنيف في التوصل إلى توجيه التنمية الإقليمية المتوازنة في المحافظة، كما يمكن عَدَّهُ أساساً في تحديد السياسات المكانية المستدامة على مستوى المدن الواقعة فيها.

الكلمات المفتاحية: المنظر الطبيعي، الوحدات الطبيعية، الإدراك البصري، التخطيط الإقليمي، ريف دمشق، الاستدامة، الثقافة.

* قسم التخطيط والبيئة- كلية الهندسة المعمارية – جامعة دمشق

مقدمة:

يمثل مفهوم المنظر الطبيعي أحد الاهتمامات التخطيطية العالمية لأنَّه يعدُّ الصيغة الأولى في إدارة استعمالات الأراضي الكونية ومن ثم الإقليمية والمكانية، يعدُّ الأداة المباشرة في تطبيق سياسات الاستدامة لمدن القرن 21. كما يهدف هذا المفهوم إلى المحافظة على المصادر الطبيعية وحمايتها وتأمين حسن إدارتها، وأيضاً ينظر إلى الأبعاد الثقافية والاجتماعية الخاصة التي تدخل في تحديد الاستراتيجيات المكانية للتنمية[1].

ظهرت الاهتمامات بالمنظر الطبيعي في تاريخ المناطق كلّها عن طريق الفنانين والأدباء والشعراء، ولكنها لم تأخذ البعد والمفهوم التخطيطي إلا في التسعينيات من القرن الماضي؛ وذلك بعد أن دخلت التنمية المستدامة أساسا في صياغة السياسات التخطيطية الحديثة خاصة بالدول الأوروبية. كل ذلك دون أن يحظى مفهوم المنظر الطبيعي باهتمام يذكر من قبل المعنيين في الدول الأقل تقدماً ومنها سورية على الرغم من أهميته، وإن تناولته بعض الدراسات النظرية دون أي تطبيق يذكر. وكدولة نامية، تتميّز سورية بالتركز الشديد والتوزيع السكاني غير المتوازن والمفترض مراعاته عند وضع الخطط الإقليمية والمكانية التي يجب أن تتخذ الحفاظ على المكون الطبيعي بوصفه إحدى أدوات التنمية لإحداث التوازن المطلوب. وهذا ما حاولت طرحه الدراسات الإقليمية التي انطلقت حديثاً في سورية ومنها الدراسة الإقليمية لمحافظة ريف دمشق. يوضح الشكل (1) أراضي المحافظة وأهم المكونات الطبيعية فيها.

وللتوصل إلى إمكانات التطوير والتنمية المأمولين بشكل واضح والأقرب إلى الواقع، فإنه من الضروري الأخذ بالحسبان الموارد الطبيعية كنظام متكامل. إن مثل هذا الطرح ضروري جداً نظراً إلى ارتباط المكون الطبيعي بالتفاعل البشري. وعليه لا تتحقق عملية التنمية إلا وفق سلسلة من إجراءات الحماية والحفاظ التي من شأنها أن تولد توازناً جديداً بين المكونين الطبيعي والبشري. وهكذا تنمو القطاعات الأخرى كلّها ولاسيما الاقتصادية بتنمية متوازنة وشاملة.

هَدَفَ البحث إلى إظهار مفهوم المنظر الطبيعي وأهميته من خلال التعريف به وبدوره في تحديد التوجهات والاستراتجيات الطبيعية التي يمكن أن تحقق التنمية المكانية المستدامة. كذلك حث المعنيين على مواجهة التحديات الطبيعية وإدخالها في الدراسات التخطيطية لأراضيهم وخاصة المناطق الريفية منها، نتيجة للتغييرات السريعة وعمليات الامتدادات العمرانية عليها. أي البحث عن الفائدة المنهجية في الترابط الوثيق بين المفهوم الطبيعي والبشري للتنمية. كذلك إن إظهار إشكالية إدارة الأراضي ولاسيما ما يتعلق بالمحافظة وإعادة التأهيل للتراث الطبيعي والعمراني، وأيضاً حماية التوازن الايكولوجي الهش حالياً بسبب التوسعات العمرانية السكنية والسياحية، له الأثر الأكبر في الموازنة بين الأماكن التي نمت والتي تنمو أو التي يتنبأ لها أن تنمو مستقبلاً مع المحتوى الطبيعي الذي توجد به .

[1] **Philippe Poullaouec-Gonidec**, Vivre et Habiter le Paysage au Moyen Orient, Actes de Colloque Beyrouth 29 et 30 novembre, 2005

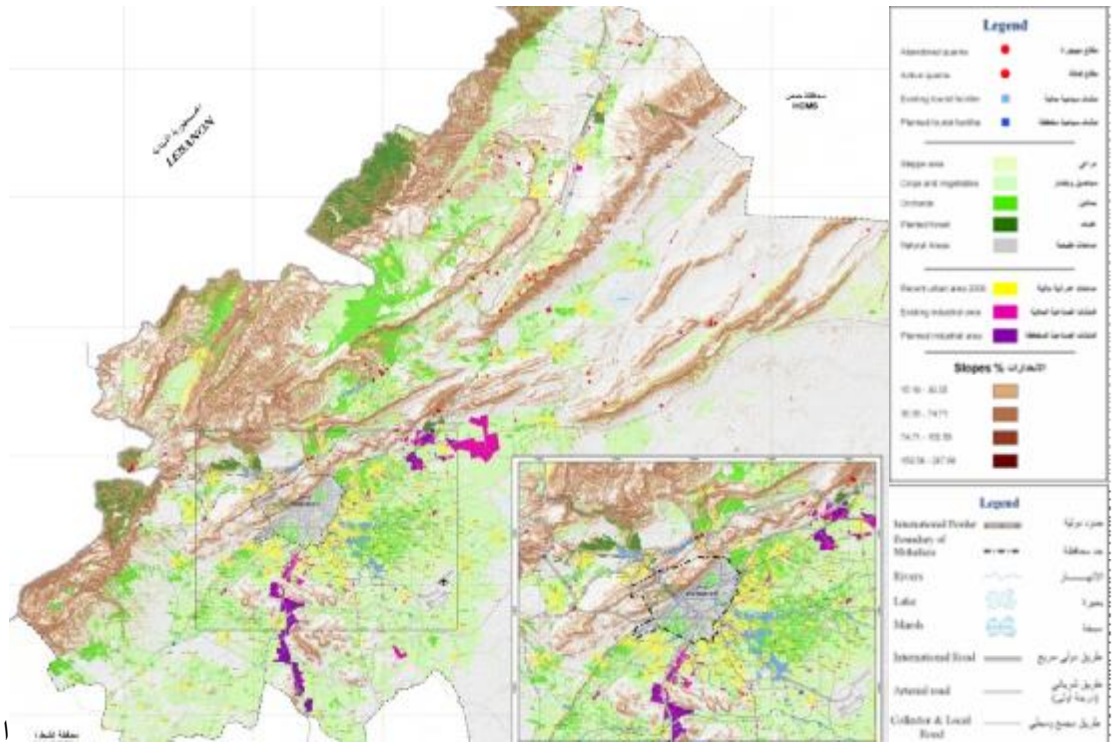

الشكل (1) المكونات الطبيعية في محافظة ريف دمشق

المصدر: الشركة العامة للدراسات والاستشارات الفنية – مديرية تخطيط المدن والضواحي – دمشق 2011

من خلال تقييم هذا المفهوم في تجربة التخطيط الإقليمي لريف دمشق، يتمحور هدف البحث في ثلاث نقاط أساسية :

(i) تسليط الضوء على المنهجية المتبعة في هذه التجربة وكيفية التوصل إلى قراءة طبيعية مكانية لأراضي محافظة ريف دمشق، ومدى ما يمكن أن تشكله من قاعدة نموذجية قابلة للتطبيق في باقي المحافظات.

(ii) تقييم نتائج المنهجية المتبعة وبيان ما يمكن أن تحققه من تنمية بشكل متوازن ومستدام؛

(iii) تحديد العلاقة بين النتائج التي تم التوصل إليها وربطها بواقع المدن السورية؛ وذلك ضمن إطار الاستراتيجيات الإقليمية التنموية المستدامة التي تم التوصل إليها.

2.المدخل النظري والتعاريف: مفهوم المنظر الطبيعي Landscape:

هو الاختصاص الذي يجمع بين الفن والعلم لإدارة العالم المادي والأنظمة التي نحن جزء منها، وهو تصميم الوظائف التي تستجيب بشكل خلاق لتحديات التفاعل بين الإنسان والأرض لتتيح إمكانات جديدة للمواقع؛ وهذا

يتطلب فهماً للعلوم الطبيعية مثلا لجيولوجيا وعلم الترب والنباتات والنظام المناخي ومصادر المياه[2].

مع أنَّ ليست هناك كلمة في اللغة العربية تصف المنظر الطبيعي، فإن ما يقصد حقيقة بهذه الكلمة يتعلق بالسياقات الثقافية المكانية التي ترصد حقيقة التفاعل بين الناس وبيئتهم الطبيعية، وتشير إلى الطريقة التي تفهم بها الطبيعة ضمن إطار ثقافي ما والطريقة التي يتم تشكلها تحت تأثير تلك الثقافة.

وإن تعريف المنظر الطبيعي المتأقلم مع سياق الشرق الأوسط – وبالمعنى الأوسع- معطى من قبل الدكتورة جالا المخزوني: يمكن أن يعرف بطريقتين مختلفتين: كيان فيزيائي متمثلٌ بقطعة من سطح الأرض بنظام مكوناتها الحية وغير الحية، أو بنية اجتماعية وثقافية تعبّر عن الطريقة التي يتعامل بها الناس مع بيئتهم في وقت ومكان محددين"[3].

أمَّا لجنة التراث العالمي لمنظمة اليونسكو فتستخدم مصطلح "المناظر الطبيعية الثقافية"[4]، لتشير إلى المناظر الطبيعية البارزة التي تستحق أن تكون مسجلة على قائمة التراث العالمي، ومع إضافة كلمة "الثقافي" فإن المعنى العام يبقى نفسه ويشير إلى التفاعل بين الإنسان والطبيعة، وهو وثيق الصلة بالمناظر الطبيعية" العادية" أيضاً: "**المناظر الطبيعية الثقافية، تمثل "أعمال مشتركة من الطبيعة والإنسان**". وهي أمثلة توضيحية عن تطور المجتمع البشري والاستقرار عبر العصور تحت تأثير القيود الفيزيائية و- أو الفرص المقدمة من بيئتهم الطبيعية ومن القوى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المتعاقبة الخارجية والداخلية"[5].

إن لهذا التعريف الواسع إشكاليات في طريقة تحديد المميز من المناظر الطبيعية داخل رقعة مكانية ما، ولاسيما إذا ما تناولته المستويات التخطيطية المختلفة. ويزداد الأمر تعقيداً كلما اتجهنا نحو المستويات العمرانية الأدنى وخاصة في محيط وداخل المدن نظراً إلى غلبة العمران على الطبيعة فيها. وهو ما يحدده عادة مفهوم المنظر العمراني.

أُدخِلَ مصطلح آخر في الدراسات التخطيطية وهو مفهوم "الفراغات المفتوحة" Open Spaces[6]ويتضمن عدة معانٍ يمكن أن تحدد وفقها؛ وأهمها **الانفتاح البصري** ويسمح باستيعاب مناظر طبيعية بعيدة المدى على الأفق، أو على الأقل على مساحة واسعة دون وجود أية عوائق بصرية (من المساحات العمرانية أو الغابات الكثيفة حيث توقف المناظر الطبيعية بالأبنية أو بالأشجار)، وهي تتضمن الصحراء والسهوب والحقول والطرقات السريعة الدولية والمقالع ..الخ.

وعلى الرغم من أن المنظر الطبيعي يمكن أن يوجد في أي مكان فإن هناك مناظر طبيعية ومناظر عمرانية (Urban landscape) وحتى مناظر صناعية (Industrial

---

[2] **Ghalia Chahine,**Pour une approche globale de l'agriculture périurbaine, Urbanité, printemps, 2011.

[3] جالا مخزوني، "المناظر الطبيعية في الشرق الأوسط: استفسار"، "بحث عن المناظر الطبيعية المجلد27 رقم3، 213 – 228 2002 صفحة218" ولا يبدو هذا التعريف بعيداً عن تلك التعاريف المعطاة في سياقات أخرى ولكنه أيضاً يعبر عن ازدواجية اللغة مثل تلك الموجودة في اتفاقية المناظر الطبيعية الأوروبية (الموقعة تحت إشراف المجلس الأوروبي في عام2002) وفقاً لهذا النص: فإن "المنظر الطبيعي" يقصد به **منطقة ما بحسب ما يفهمها الناس التي تكون صفاتها نتيجة عمل وتفاعل للعوامل الطبيعية و/أو البشرية**.

[4] http://whc.unesco.org/en/activities/477, http://whc.unesco.org/archive/opguide08-en.pdf, http://whc.unesco.org/archive/opguide05-arb.pdf

[5] توجيهات عملية من أجل تنفيذ اتفاقية التراث العالمي، 2000 الفقرة47

[6] **الدراسة الإقليمية لريف دمشق، تقرير المنظر الطبيعي –Landscape** المرحلة الثانية، الشركة العامة للدراسات والاستشارات الفنية، دمشق، 2011.

Landscape) أو أخرى بحسب الوظائف المتعلقة... ودون الدخول في تعقيدات المفاهيم والتعريفات المختلفة، يركز البحث كما سيتم إظهاره لاحقاً من خلال تجربة التخطيط الإقليمي لريف دمشق، على المنظر الطبيعي والفراغات المفتوحة التي تترادف في مفهوم واحد، وتعتمد على فكرة ارتباط المنظر بالطبيعة وتفاعل الإنسان مع الطبيعة من جهة، وانفتاح الفراغات بصرياً التي تسمح بوجود إطلالات واسعة على المنظر الطبيعي (Landscape)، سواءً أكانت طبيعية أم عمرانية من جهة أخرى.

في الحقيقة ليس هناك مساحة طبيعية بشكل صافٍ: فحتى البادية التي تتألف أنسجتها الطبيعية من مناطق رعوية تكون فيها مناطق أكثر طبيعية من غيرها. وهنا فإن مصطلح "المناطق الطبيعية يغطى التكوينات الطبيعية كلّها ويمكن تمييز واحدات[7] طبيعية فيها وتصنيفها كما سنراه لاحقاً. ومن أهم هذه الواحدات: الصحراء والسهوب والحقول والبساتين والغابات والمستنقعات ..الخ،كذلك بعض المساحات التي تكون بموضع وسيط بين المساحات الطبيعية والمطورة عمرانياً مثل المساحات العمرانية الخضراء.

ومهما تنوعت هذه الواحدات أو المناطق الطبيعية، فإنها تقوم بتعدد وظيفي يمكن إجماله ضمن أربعة عناوين أساسية هي:

- مكان طبيعي يؤدي دوراً اجتماعياً مهماً فهو يمثل محيطاً مريحاً للاستجمام والراحة، تتقاطع فيه القيمة الجمالية مع الفائدة الوظيفية للأنسجة النباتية.

- حيز ثقافي لدوره التربوي في إعادة اتصال السكان بطبيعتهم.

- حيز اقتصادي يؤمن التوازن المستدام ينتج عنه منتجات ذات نوعية عالية فضلاً عن كونه حافزاً لتشجيع الاستثمار في المناطق المحيطة به. مثال على ذلك المدن الأميركية التي أصبحت تستثمر الفراغات العامة، فمدينة شيكاغو حققت خلال الخمس سنوات الماضية ارتفاعاً بنسبة الأرباح من 6% إلى 47 % بعد إنشاء حديقة في مركز المدينة يعتمد فيها الزراعات البيولوجية[8].

- حماية البيئة والتنوع الحيوي؛ وذلك من خلال:

- تنقية الهواء: من خلال أوراق الشجر التي تمتص العديد من الملوثات الغازية خاصة الأوزون، وثاني أكسيد الكربون وثاني أكسيد الكبريت.
- جلب مياه الأمطار: إذْ إنَّ زيادة نسبة الأشجار تتناسب طرداً مع كمية الهطول المطري.
- تأثير الغطاء النباتي في المناطق الحضرية في درجة الحرارة: حيث يعمل الغطاء النباتي على تبريد الجو بشكل مباشر عن طريق الظل، وبشكل غير مباشر من خلال عملية التبخر الناتجة عن الأوراق.
- التخفيف من تلوث التربة وحماية مجاري المياه الجوفية: فالأشجار تمتص المعادن الثقيلة من التربة، وقد تبيّن أن الحطب والأوراق المتساقطة من الأشجار تحتوي على نسب من الرصاص والكادميوم أعلى من الأجزاء الحية من النبات. فضلاً عن دور الأشجار بامتصاص الآزوت من التربة فتحد بذلك من تلوث المياه الجوفية به.

[7] انظر صفحة 12 لتعريف الواحدات الطبيعية.

[8] **Joel Thibert**, Les villes américaines investissent dans l'espace public, Revue urbanité, 2011.

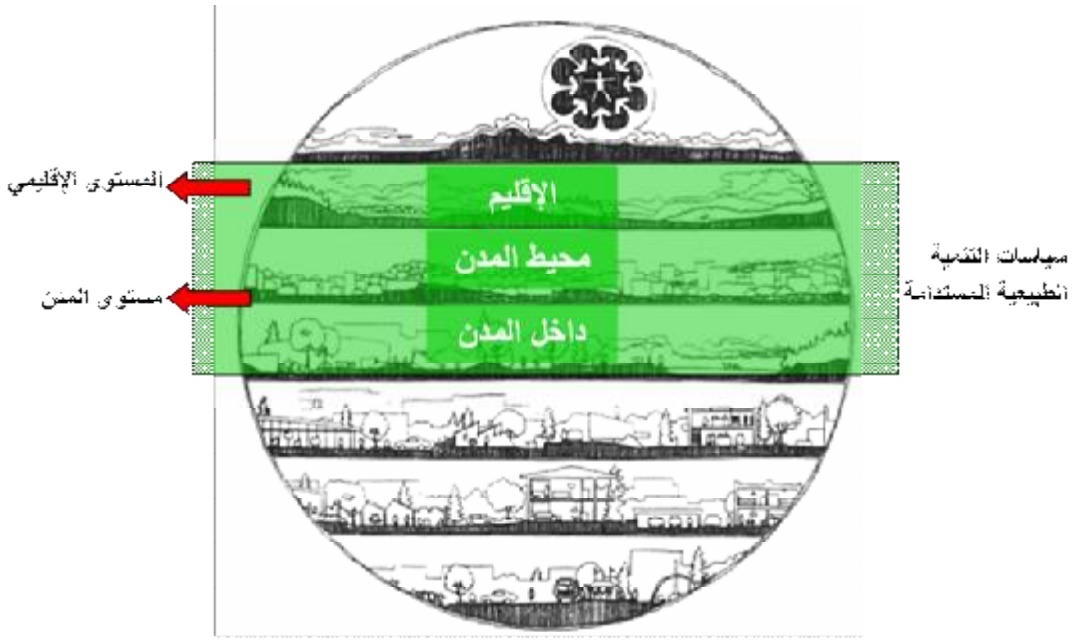

الشكل (2) مستويات تنمية المنظر الطبيعي

المصدر: الباحث

من هنا نجد أن هذا التعدد الوظيفي أصبح مكوناً يهتم بتفعيل قيم الاستدامة. ومن ثمَّ فهو أداة لتخطيط التنمية الإقليمية والمكانية المستدامة. وهذا يتطلب -في أغلب الأحيان- تشريعاً إقليمياً لحماية المصادر البيئية الخضراء أو الزرقاء، الحدائق الطبيعية... وتفعيلها بالصورة المُثلى لتحقيق الهدف منها في المستويات المكانية الأدنى. كما هو مبيّن في الشكل الآتي الذي يظهر تسلسل مستويات المنظر الطبيعي وصولاً إلى المستوى التفصيلي الخاص (الفراغات والحدائق السكنية). واهتمام البحث بالمستويات الإقليمية والمدينية والعمرانية.

ومع ذلك يبقى التطرق إلى مفهوم المنظر الطبيعي في المجتمعات العربية جديداً، ولا يحظى بالاهتمام الكافي إلى الآن. وعلى الرغم من أنه لا يزال هناك إبهام وخلط لغوي بين مفهوم المنظر الطبيعي والبيئة المقتصرة على البيئة الطبيعية فقط. فقد تطرق البحث إلى التعاريف التي تحدد مفهوم المنظر الطبيعي كمصطلح معاصر يحدد من الناحية الإدراكية التلقي البصري ولكنه في الوقت نفسه يرتبط بمجموعة من الإجراءات الطبيعية والاجتماعية الثقافية. إن التراث الثقافي يدخل ضمن هذا المفهوم إذاً.

وهذا يقتضي تفصيلاً أكثر دقة للمحددين اللذين يتألف منهما المنظر الطبيعي: فمن جهة تشكل المكونات كلّها الطبيعية والزراعية والجغرافية والأثرية المضمون المادي للمنظر. ومن جهة أخرى، يمثل المجال الإدراكي البصري البعد الجمالي والثقافي له. وهذا المتغيّر يعقد قراءة المنظر الطبيعي ويعطيه مقاربة غير مؤكدة. فالتفسيرات الخاصة قد تبعد التشخيص عن مسلماته المطلقة ويكسبه أحياناً مبررات غير مؤكدة.

فالمنظر الطبيعي يحمل في مفهومه بعداً ديناميكياً وبذلك تكون مكوناته من الأراضي قابلة للتبدل والتغيير مع التطور الإنساني.

وهذه الديناميكية تتنافى بدورها مع التعاطي البيئي الذي يفرض إجراءات الحماية المطلقة ونوعاً من السكون ضمن إطار من الخوف من التعدي والإخلال بالمنظومة البيئية الموجودة التي تتعرض بشكل مستمر إلى التدهور نتيجة لتفاعل الإنسان ونشاطه بما يتوافق مع احتياجاته. ويوضح الشكل رقم (3) هذا النشاط في محيط مدينة دمشق والتعديات الحاصلة على منطقة الغوطة بين مقطعين زمنيين 1980-2010. ويظهر فيه تراجع الغطاء البيئي الأخضر مقابل الامتدادات العمرانية الكبيرة لمدينة دمشق ومحيطها.

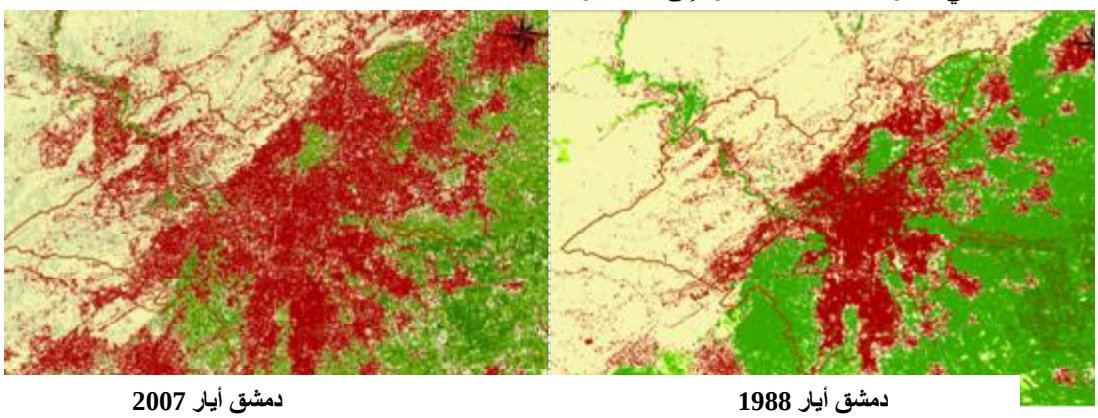

دمشق أيار 1988 دمشق أيار 2007

المصدر: برنامج تحديث الإدارة البلدية Municipal Administration Modernisation–

الشكل (3) ديناميكية المنظر الطبيعي لغوطة دمشق

وكما هو موضح آنفاً، فإن الديناميكية العمرانية تُسبِّبَ - في أغلب الأحيان- انعكاسات سلبية سريعة على المحيط الطبيعي بسبب تقدم التكنولوجيا، وبالمقابل فإن معالجتها تتطلب وقتاً طويلاً لإعادة التوازن المستقبلي المطلوب.

توجه هذه المخاطر إلى ضرورة وضع سياسات عامة واتفاقيات تعمل على حماية المنظر الطبيعي وتنظيمه وإدارته. وهنا تظهر أهمية الدراسات الإقليمية في تحديد المكونات الطبيعية وتنظيم الأراضي قبل الانتقال إلى التطوير المكاني على المستوى الأدنى. فالدراسات الإقليمية تُعْنَى بالإجراء الرسمي بتحديد وبناء المناظر الطبيعية الجديدة بأسلوب ينسجم مع نشاط المجتمعات المحلية. وهو يهدف إلى اقتراح مشاريع خاصة للمناطق الأكثر تضرراً وتأثراً بالتبدلات والتغيّرات العمرانية مثل المساحات الصناعية والسكنية (الضواحي).[9]

انطلاقاً من هذه التوجهات تؤكد الدراسات الإقليمية للمنظر الطبيعي محورين أساسيين هما:

i. الحماية: كأداة قانونية

إذ إنَّ حماية المنظر الطبيعي بمكوناتها كلّها يتطلب إصدار تشريعات مناسبة ولعل الأهم منها هو آليات تطبيقها. وهذا يشمل مناطق المحميات الطبيعية التي تتعلق بشكل رئيسي بالأملاك العامة والخاصة، كذلك مناطق حرم المواقع الأثرية وتأهيل المقالع وغيرها.

[9] **Frédéric Husseini,** Patrimoine et paysages, protection et réalités, Vivre et Habiter le paysage au Moyent Orient, Actes du colloque, Beyrouth-Liban, 29 et 30 novembre, 2005.

ii. **المنظر الثقافي**:

وهذه المكانة ضاعت في العديد من المناطق والأراضي. ويقع تصنيفها ضمن العديد من المتناقضات لتحديد المعطى الثقافي ضمن المنظر الطبيعي. يحدد الإرث الثقافي عادة بالنظر إلى الأثر نفسه. في حين يعرف مفهوم المنظر الثقافي في اتفاقية التراث العالمي: بالموقع الناتج عن تفاعل الإنسان بالطبيعة[10]. مما يؤكد علاقة هذا المفهوم بالموقع نفسه وليس بالبناء فقط، وهذا ينفي الفصل بين الطبيعة والمعطى الثقافي.

وعليه تصنف المناظر الثقافية في ثلاثة مفاهيم بحسب:

- المنظر المتطور ويقصد بالمنظر الذي يحتوي على الأوابد الأثرية التي تشهد عليها الحضارات الغابرة.
- المنظر الحي ويقصد بالمنظر المتعايش هو ذو فاعلية اجتماعية تعكس التقاليد والعادات التي تمارسها المجتمعات المحلية.
- المنظر التشاركي بين عدة مكونات للمنظر الطبيعي من ثقافية أو أثرية أو طبيعية.

ويجدر بالذكر أن هذه التصنيفات الثلاثة توجد في مكونات المنظر الثقافي في محافظة ريف دمشق، على الرغم من أن المنظر الطبيعي في سورية وبشكل عام، يتعرض إلى أشكال التدهور والتعديات كلّها نتيجة نقص الأراضي أحياناً وإلى افتقار التشريعات اللازمة أو عدم تطبيقها في الحين الآخر.

3.مفهوم المنظر الطبيعي وعلاقته باستدامة الأقاليم والمدن

تواجه سورية تحدياً عمرانياً مستمراً ناتجاً عن الزيادات السكانية، وتشهد محافظة ريف دمشق كغيرها من المحافظات، تطوراً عمرانياً بمعدل 1000 هكتار سنوياً خلال العشرين السنة الماضية. وهذا يؤثر بشكل مباشر في المكونات والإمكانات الطبيعية فيها إذْ وصل معدل تراجع الغطاء الزراعي من 11% إلى 30% من الأراضي الصالحة للزراعة خلال المدة نفسها[11].

ضمن هذا الإطار، يطرح السؤال نفسه عن مفهوم المنظر الطبيعي في المدن السورية وأقاليمها في ظل هذه التحديات؟؟ إن إدخال هذه المفاهيم الجديدة يهدف حتماً إلى حماية الغنى الطبيعي الوطني.

فهل ستنتظر هذه المفاهيم طويلاً لتدخل كأدوات تخطيطية لها أطر تنفيذية فاعلة؟

1-3 انعكاسات تطبيقات الأدوات التخطيطية الحالية على المنظر الطبيعي

إن التأثير المكاني للسياسات العمرانية والتنظيمية وسياسات البناء تظهر واضحة جداً وعلى امتداد الأراضي السورية. إن كان ذلك على الجبال أو في الوديان، على السواحل أو في الداخل. ففي هذه الأراضي جميعها يظهر الانقطاع والتعديات، والامتداد والتوسعات، لاسيما المناطق القريبة من التجمعات السكانية الكبرى التي كانت تشكل فيما مضى مناطق ريفية.

ولتناول هذه الإشكالية، كان من الضروري تقييم التجربة الإقليمية لريف دمشق وما تم التوصل إليه من دراسات للمنظر الطبيعي، ولدور السياسات العمرانية المقترحة في تجاوز المنتج العمراني الفوضوي الحالي على حساب المعطيات الطبيعية في المحافظة.

وهذا أيضاً ينطبق على المنتج العمراني الحالي في المحافظات السورية كلّها نظراً إلى اعتمادها السياسات العمرانية نفسها. كما أنها تتشابه في بلدان مجاورة ولاسيما لبنان الذي سُمِّيَ بمصطلح "الجمهورية البيتونية[12].

[10] World Heritage Cultural Landscapes, A handbook for Conservation and Management, Unesco, world heritqge papaers 26, Decembre 2009.

[11] **الدراسة الإقليمية لريف دمشق، تقرير الزراعي** - المرحلة الثانية، الشركة العامة للدراسات والاستشارات الفنية، دمشق،2011.

[12] **Skaff, P.**, "La Republique du beton", Dar Al-Nahar, Beyrouth, 2002.

ويرجع سبب هذا التشابه والصورة المشوهة للمنتج العمراني غير المتوازن مع المنظر الطبيعي إلى عدة نقاط أهمها:

- تزايد البناء في المناطق البعيدة مثل سفوح الجبال، وعلى المسيلات...
- غياب الانسجام بين العمران المبني والمناطق الريفية والطبيعية، وهذا ناتج عن تطبيق خصائص موحدة وأنظمة متشابهة إن كان من حيث نسب الإشغال على الأرض أو في الارتفاعات. كما هو مبيّن في الشكل (4).

الشكل (4) التأثير البصري للتطورات السياحية في سفوح الهضاب

المصدر: الباحث

- غياب التنظيم المتكامل ومراقبة تنفيذ التوسعات العمرانية ولاسيَّما التجمعات الصغيرة والقرى.
- اعتماد السلطات على الاستملاك في المشاريع الحيوية دون أن تكون هذه المشاريع مدروسة بالصورة الكافية من جوانبها كلّها.
- التهديد المشكل من قبل المخططات التنظيمية على المناطق الريفية والمناطق المحيطة بها التي تمتلئ مباشرة بالسكن العشوائي.
- خطر الاتصالات العمرانية بين المناطق المنظمة المتجاورة.

فضلاً عن كثير من الأسباب الأخرى، ولكنها تندرج تحت بنود تفصيلية أكثر تتعلق بطبيعة المكان وخصوصيته. وهذا ما تبيّنه التجربة الإقليمية لريف دمشق، فضلاً عن وجود خطوط رئيسة تجمع سمات المنظر الطبيعي بغيره في العالم، بقدر ما تحمله هذه المحافظة من خصوصية مكانية توجب الرصد والتحليل وإظهار نقاط القوة فيها.

3-2 حالة دراسية: محافظة ريف دمشق

تتميّز محافظة ريف دمشق بتنوع مصادرها الطبيعية، ويمكن أن تصنف أراضيها بحسب العوامل الجيولوجية والهيدرولوجية والتضاريس والمناخ فضلاً عن التأثير البشري، في ثلاث مناطق رئيسية[13]، ظن تحتوي كل منها على مجموعة من المكونات التفصيلية، كما هو موضّح في الشكل رقم (5):

[13] **الدراسة الإقليمية لريف دمشق، تقرير المنظر الطبيعي –Landscape** المرحلة الثانية، الشركة العامة للدراسات والاستشارات الفنية، دمشق، 2011.

1- باتجاه الجنوب الغربي الغوطة : البساتين والحقول ومنطقة دمشق العمرانية.

2- باتجاه الشمال الغربي: الجبال والهضاب مع الغابات والشجيرات والحقول والقمم الصخرية.

باتجاه الشرق البادية: السهوب والأراضي الجرداء والصخور.

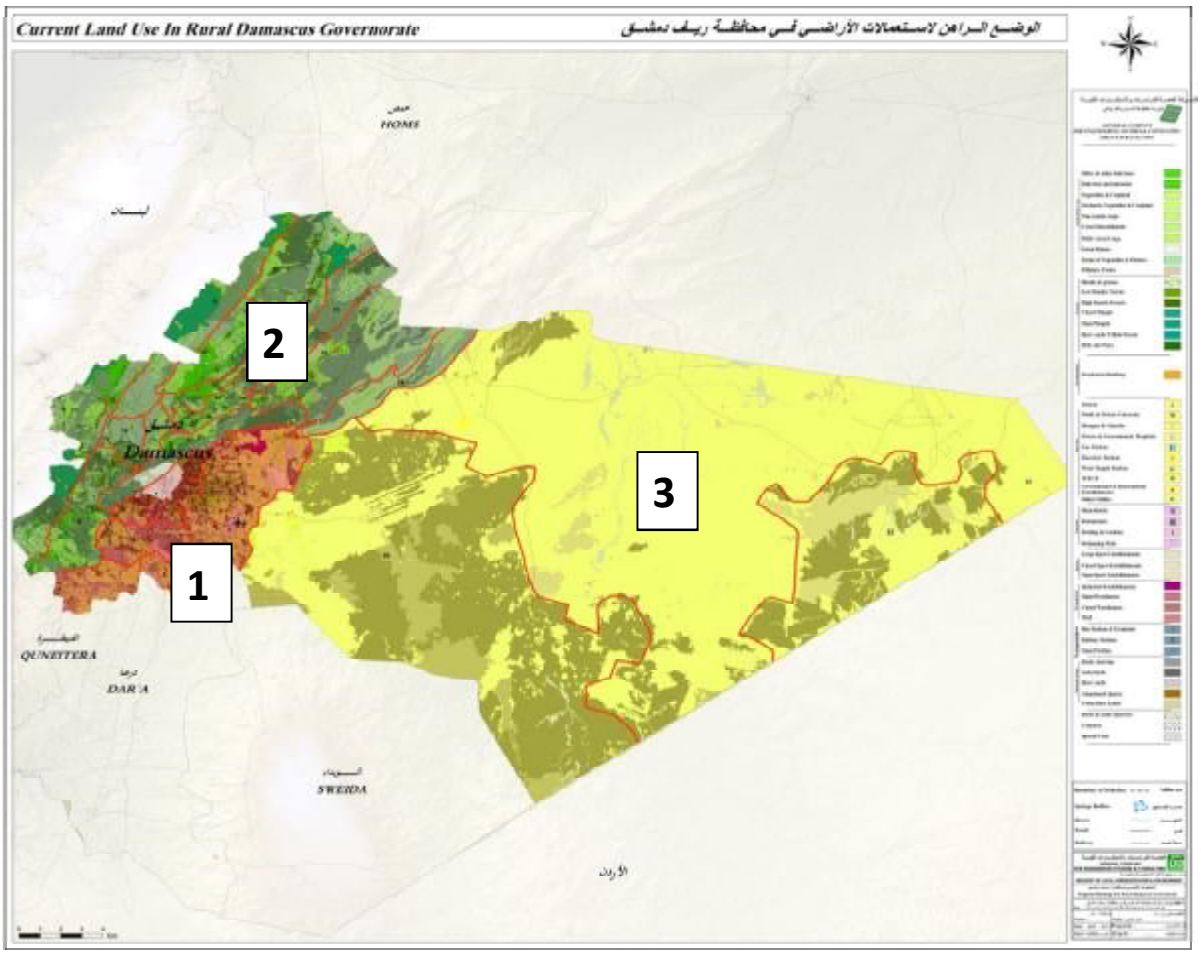

الشكل (5) توزع المصادر الطبيعية في محافظة ريف دمشق

المصدر: الشركة العامة للدراسات والاستشارات الفنية – مديرية تخطيط المدن والضواحي – دمشق 2011

3-2-1 وحدات المناظر الطبيعيةLandscape units:

يمكن أن تعرّف بأنها الجملة الطبيعية المتجانسة التي تحدد مساحة واحدة بالاستناد إلى الاستعمالات الرئيسة للأراضي والتضاريس والوحدات الجيولوجية والتجمعات المائية[14]. ونظراً إلى تنوّع طبيعة محافظة ريف دمشق فقد تم رصد الوحدات الطبيعية الآتية التي وصلت إلى 20 وحدة طبيعية وفق الشكل الآتي:

[14]**Jala Makhzoumi, Gloria Pungetti,** Ecological Landscape, Design & Planning, The Mediterranean Context, E&FN Spon London and New York, 1999.

- **الغوطة**: وتضم (منطقة دمشق العمرانية، أراضي الغوطة، وادي الأعوج، فتحة القنيطرة).
- **الجبال والهضاب**: وتشمل (سفوح الحرمون، الحرمون، بردى الأعلى، سلسلة جبال لبنان الشرقية /الجزء الجنوبي، سلسلة جبال لبنان الشرقية /الجزء الشمالي، هضبة النبك، القلمون الأعلى، سلسلة القلمون، سهل صيدنايا، جبل قاسيون، سلسلة الجبال التدمرية الجنوبية/الجزء الغربي، سهل الدو، سلسلة الجبال التدمرية الجنوبية/ الجزء الشرقي).
- **البادية**: وتحتوي على (البادية الصخرية-حماد، البادية السهبية، البادية الجبلية).

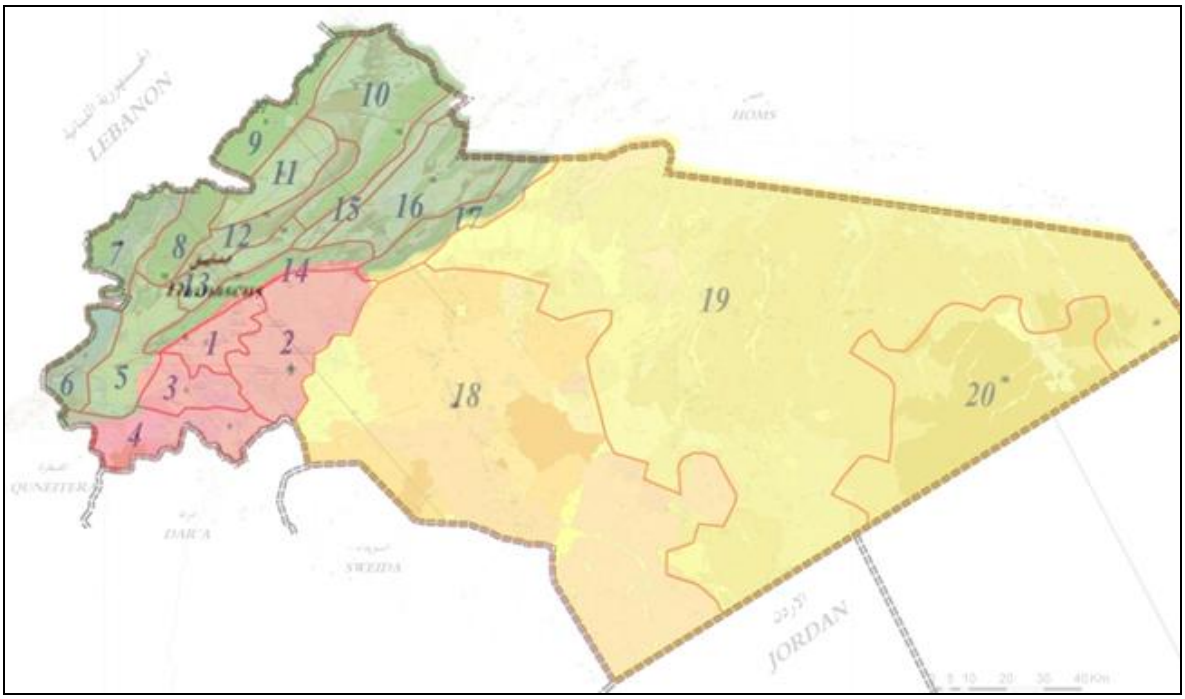

الشكل (6) وحدات المناظر الطبيعية

المصدر: الشركة العامة للدراسات والاستشارات الفنية، الدراسة الإقليمية لريف دمشق، تقرير المنظر الطبيعي –Landscape المرحلة الثانية، دمشق، 2011.

وفيما يلي بعض من ملامح الوحدات الطبيعية لكل من وادي بردى ومناطق الغابات والحراج فيها. ويظهر فيها غنى وتنوع المكونات الطبيعية من جبال وأودية وتقع ضمن الواحدتين 12و13 بحسب الشكل رقم (6).

الشكل (7) بعض ملامح الوحدات الطبيعية

المصدر: الباحث

3-2-2 الأوابد والمواقع الأثرية:

شهد "الهلال الخصيب"، الممتد من بلاد الرافدين (العراق الحديث) إلى مصر متضمنة سورية الحديثة ولبنان والأردن وفلسطين وتركيا الجنوبية وإيران الغربية مكان الولادة الأولى للنشاطات الرئيسة كلّها، من العصور الحجرية الجديدة إلى العصور القديمة (الزراعة وتربية الحيوان والأعمال المعدنية والكتابة والمدن والدول والإمبراطوريات). وتضم محافظة ريف دمشق العديد من الدلالات الأثرية، من بينها يمكن رصد المواقع الرئيسة الآتية:

العصر الحجري: الموقع الرئيسي هو **تل أسود** المكتشف في عام1967 وهو أحد أقدم المواقع التي تعطي شاهداً عن الزراعة (الألفية التاسعة قبل الميلاد) مع بذور القمح الأحمر والعدس والكمثرى والشعير وأكثر حداثة (في سنوات الألفين) نُبِشَتْ جماجم جصية تعود لـــ 8500 قبل الميلاد.

العصور القديمة ما قبل الإغريقية (الآشوريون والبابليون والفرس..الخ): مثل **جبل سيس**، ويظهر الشكل الآتي بعضاً من هذه الأوابد.

العصور الإغريقية والرومانية: المعابد (**الضمير، والقبور**).

العصر البيزنطي/ المسيحي القديم: القنوات والقبور والقصور.

التراث الإسلامي (من العصر الأموي وحتى العثماني): الجوامع (**قطنا**)، المدارس، والحمامات، والطواحين (**حرستا**)، والأضرحة (**السيدة زينب**)، والخانات (**الدنون**)، والأعمال المائية (**قناة بسيمة**).

التراث المسيحي، الأديرة : إن منطقة **القلمون** هي إحدى أقدم المناطق المسيحية وإحدى آخر الأماكن التي لا تزال فيها اللغة الآرامية محكية، وهي تتضمن أديرة **صيدنايا** (سيدتنا، ومار توما وشيروبيم) وتلك التي في **معلولا** (مار تقلا ومار سركيس وباخوس)، وفي **يبرود** (كارا ومار موسى الحبشي وقاسيون)، وفي البادية هناك أيضاً عدة أديرة.

الشكل(8) التراث التاريخي: خان دنون

المصدر: الباحث

3-2-3 التراث العمراني الحديث:

يتألف التراث الحديث في ريف دمشق من أبنية عامة ونسيج عمراني أكثر بساطة في المظهر من الأوابد الأثرية، ويقدم البيئة اليومية لكثير من الناس وخاصة ذوي الدخل المحدود منهم. ويمكن حصر أهم مناطق التراث الحديث في:

قطنا: الجامع والكنيسة والحمام والطاحونة والبلدة القديمة.

ببيلا: الجامع والمدينة القديمة.

جيرود والريحانية: مدن قديمة.

الضمير: المدينة القديمة حول المعبد الروماني.

والهندسة المعمارية الطينية في النسيج العمراني القديم لكثير من القرى.

3-2-4 القيم المشتركة والتراث غير الملموس:

لا تقتصر القيم التراثية على الأملاك الملموسة فقط ولكن أيضاً على العادات والاعتقادات واللغات والقصص وفنون الأداء ... وهذه القيم غير الملموسة تكتسب اعترافاً دولياً ومحلياً متزايداً. إذ أصدرت اليونيسكو مؤخراً اتفاقية من أجل حماية التراث الثقافي غير الملموس (2003)[15] وتربطه بالأماكن والمناظر الطبيعية من خلال طرق مختلفة. فمنها ما يحمل قيماً غير ملموسة بشكل مباشر ويكون أكثر أهمية من القيم التاريخية أو الفنية أحياناً، وهذه هي حالة المواقع الدينية في السيدة زينب وأديرة القلمون التي تعدُّ أماكن للحج والحوار الديني.

الشكل (9) التراث المعاش في جبعدين (شمال) وقطنا (يمين)

المصدر: الباحث

في حين لا ترتبط القيم غير الملموسة الأخرى بشكل مباشر بالأماكن ولكن باتصالها بالبيئة التقليدية للناس الذين يحملون تلك القيم التي قد تسهم بحماية هذا التراث غير الملموس. وكمثال على ذلك تعدُّ اللغات جزءاً من التراث غير الملموس، وإن التنوع اللغوي مهدد حالياً في أنحاء العالم كلّه بإنقاص عدد المتحدثين في كثير من اللغات؛ مما يؤدي إلى انقراضها مع مرور الزمن. وبين اللغات المميّزة، اللغة الآرامية واللغة الحديثة التي يطلق عليها اللغة الآرامية الحديثة الغربية، وهي قريبة للغة القديمة المحكية في الهلال الخصيب كلّه (من الإمبراطوريات الآشورية والبابلية إلى المسيح والعهد القديم اليهودي والتلمود)، والآن وبوجود فقط 8000 نسمة في القلمون (معلولا وجبعدين)[16]، فإن الحفاظ على بيئة هذه القرى قد لا يكون كافياً لإيقاف انقراض اللغة ولكنه قد يساعد.

وفيما يتعلق بالقيم غير الملموسة فإن الحفاظ على بعض السمات الأساسية للمناظر الطبيعية أيضاً حيوي للهوية الوطنية والإقليمية (المنظر الطبيعي للغوطة والجبال والبادية...).

[15] اتفاقية اليونيسكو لحماية التراث الثقافي غير الملموس http://portal.unesco.org/en/ev.php-URL_ID=17716&URL_DO=DO_TOPIC&URL_SECTION=201.html, http://unesdoc.unesco.org/images/0013/001325/132540e.pdf, http://unesdoc.unesco.org/images/0013/001325/132540a.pdf

[16] **المكتب المركزي للإحصاء**، تعداد 2004 وإسقاطات 2011.

4. التشخيص والتقييم:

من خلال الوصف السابق للمناظر الطبيعية والمناطق الطبيعية والتراثية كان لابدَّ من تقييم هذا المكون في المحافظة عن طريق تطوير نقاط القوة والضعف (SWOT).

نقاط القوة وتمثل خلاصة القيم الرئيسة للمناظر الطبيعية والأماكن والمناطق التراثية والاتجاهات والأعمال المتخذة بشأنها.

نقاط الضعف وتعني خلاصة التأثيرات السلبية وأيضاً الاتجاهات المتخذة بشأنها.

التهديدات وتحدد تقييم التطورات السلبية المحتملة.

الفرص وهي تقييم التطورات الإيجابية المحتملة أو الحلول للاتجاهات السلبية.

إن هذا التشخيص يسمح بإظهار أهمية مفهوم المنظر الطبيعي وضرورة اتخاذ الإجراءات السريعة والطارئة لإحيائه، كما يسلط الضوء على الإمكانات التي تكون أساساً للتوجهات والمقترحات.

4-1 نقاط القوة:

تتلخص أهم نقاط القوة للمناظر الطبيعية ونظم المساحات المفتوحة التي من شأنها أن تجعل المكون الطبيعي أكثر مرونة لأي تهديد بما يأتي:

التنوع الواسع **للمناظر الطبيعية العالية الجودة** (الغابات الجبلية والجروف الصخرية والصخور والوديان والتلال البركانية والسهوب والغوطة)

التنوع الواسع في **الأنظمة البيئية** (نظم الجبال ونظم السهول ونظم البادية)

أماكن مفتوحة **كبيرة محمية حماية جيدة** (في المناطق الجبلية وفي البادية)

جودة عالية **لتراثٍ مبني** (الأوابد والأبنية والمدن القديمة).

فضلاً عن ذلك، فإن مرونة المناظر الطبيعية تتعلق بالبراعة والإدارة المستمرة للنماذج الثقافية التي تمثل الإشغال البشري للأراضي:

زراعة **ديناميكية جداً** (من أشجار وخضار وحبوب وتربية حيوان...) وإدارة كبيرة للمساحات المفتوحة،

ثقافة الحدائق والمساحات المفتوحة العريقة والمتأصلة في أذهان الناس والمعبّر عنها في واحة الغوطة في الأفنية والحدائق الخاصة... وتظهر صور الفسيفساء لبردى في جامع بني أمية الشكل (10)، كم هو قديم تقييم المياه والأشجار في غوطة دمشق.

الشكل (10) صورة واحة الغوطة في الجامع الأموي

المصدر: الدراسة الإقليمية لريف دمشق، تقرير المنظر الطبيعي Landscape – المرحلة الثانية، الشركة العامة للدراسات والاستشارات الفنية، دمشق، 2011.

4-2 نقاط الضعف:

تتلخص أهم نقاط الضعف بتأثر المكونات الطبيعية بعوامل متعددة تلخصت بما يأتي:

التغيّر المناخي وقلة المياه وقد أدى ذلك إلى التأثير في الزراعة، والرعي الجائر للمراعي والتصحر الناتج.

التطور العمراني غير المسيطر عليه مع التأثير في المناطق الطبيعية.

مشاريع التنمية السياحية وانتشارها غير المنظم مع تأثير بصري قوي (فنادق متعددة الطوابق في الجبال أو في الأماكن الطبيعية والمفتوحة الأخرى).

ضياع التراث التاريخي المبني بسبب الإهمال وعدم الوعي بقيم هذا المكون.

انتشار المقالع وعدم تنظيمها.

التخلص من النفايات الصلبة بشكل فوضوي وبشكل رئيسي القمامة والأنقاض.

عدم وجود مساحات خضراء من حدائق ومساحات عامة ذات نوعية عالية وعلى الأخص في التوسعات العمرانية الحديثة.

عدم وجود منشآت رياضية وترفيهية كافية.

فضلاً عن ذلك المشكلات الأخرى الأقل مشاهدة ولكن التي لها تأثير مباشر في نوعية الأنظمة البيئية ومن المحتمل أن تؤدي إلى تأثيرات سلبية لاحقة في المناظر الطبيعية، وهي:

تلوث المياه السطحية (الوديان) والمياه الجوفية من تلوث كيماوي بالنترات الناتج عن مياه المخلفات المنزلية والأسمدة الزراعية والتلوث البيولوجي بالجراثيم بسبب طمر القمامة، وتلوث التربة بالمعادن الثقيلة من مياه المخلفات الصناعية والمنزلية.

فقدان التنوع الحيوي من خلال فقدان المكونات الطبيعية والافتقار للتنوع الحيوي في المناطق المتبقية، وعلى وجه الخصوص في المساحات الزراعية.

4-3التهديدات:

وهي تتعلق بمدى استمرار التأثر بعوامل تؤدي إلى المزيد من التوجهات السلبية بسبب عدم السيطرة على المناطق الطبيعية المتبقية، وعلى امتدادها، ومنها:

قطع الممرات الحيوية الحالية (الوديان الخضراء والمسيلات الطبيعية) بسبب تطوير البنية التحتية أو العمرانية.

فصل المساحات الطبيعية والزراعية بالامتداد العمراني المنظم وغير المنظم (وعلى وجه الخصوص في الغوطة).

تأثيرات بصرية للواجهات العمرانية في المناظر الطبيعية والزراعية ذات الأهمية.

قلة الموارد المائية: موارد مياه الشرب محافظ عليها بشكل جيد (الفيجة وبردى الأعلى)، وتبقى مصادر مياه الري مهددة بشكل كبير لعدم كفايتها، وعلى وجه الخصوص في الغوطة بسبب تغور مستويات المياه الجوفية والملوحة.

التخلص من النفاية الصلبة: إذْ إنَّ الاستطاعة الحالية للمطامر غير الكافية والتخفيف من التأثير البيئي مطلوب لمواقع الطمر الرسمية الموجودة، كذلك الحد من مواقع طمر القمامة غير القانونية.

التلوث الصناعي (الهواء والتربة والماء) والتحكم غير الكافي لمعالجته.

استغلال المقالع دون وجود سيطرة كاملة عليها والغياب الكامل للترميم البيئي بعد الإغلاق.

فضلاً عن عدم كفاية السياسات العامة التي لا تؤدي إلى ضعف السيطرة على التأثيرات السلبية السابقة فحسب، وإنما أيضاً إلى انعدام وجود تدابير وقائية منها:

- عدم وجود برنامج إعادة تحريج طموح.
- عدم وجود دعم عام من أجل الزراعة.
- عدم وجود وعي للتراث الثقافي القديم والحديث.

4-4 الفرص:

بالنظر إلى نقاط التقييم السابقة، هناك عدة عوامل إيجابية إذا ما فُعِّلَتْ بالشكل المناسب وبسرعة قد تحمل أملاً بالتحسين منها:

الضغط السكاني الموزع بشكل غير متوازن: تعدُّ دمشق عاصمة متوسطة الحجم إذا ما قورنت بالعواصم الأخرى في بيئات مماثلة مثل القاهرة أو بغداد التي يراوح عدد السكان فيها من 4 إلى 6 مرات عن دمشق. وعلى الرغم من التركز الشديد حول الأراضي الزراعية الغنية فيها يزيد من إمكانية أن يختفي الجزء المتبقي من الغوطة تحت التجاوزات العمرانية، إلا أنَّه يسمح في الوقت نفسه بالمحافظة على الجزء الآخر من ريف دمشق وحمايته بأسرع وقت، وخاصة في الأجزاء المأهولة الأبعد. إذْ تسمح المخططات التنظيمية المحلية إذا ما فُعِّلَتْ بالطريقة الصحيحة، بالحدّ من الانتشار (الامتداد) غير المنظم والمحافظة على المساحات الطبيعية والزراعية المتبقية.

الهيكليات العامة:

إن وجود الهيكليات والشبكة الإدارية اللازمة للتغطية الإقليمية والقطاعية، يساعد على ضمان تنفيذ السياسات المقترحة. فعلى سبيل المثال إذا قُرِّرَت سياسة طموحة لإعادة التحريج فإن لدى وزارة الزراعة الخبرات اللازمة والأطر اللازمة لتشرف على هذه المشاريع الحراجية.

هندسة البيئة:

تحظى البيئة حالياً باهتمام واسع. وتشارك المدن السورية الهموم العالمية في مواجهة المشكلات البيئية وزيادة التوعية والجهد العالمي في التوجيه نحو الاستدامة البيئية، واعتماد الطاقات المتجددة وتنقية المياه ..الخ. وتقوم محافظة ريف دمشق على سبيل المثال بدراسة متكاملة لشبكة محطات معالجة مياه الصرف الصحي الصغيرة أو المتوسطة الحجم، وهذه المنشآت الجديدة تعطي ماءً بالدرجة الأولى قابلاً للاستعمال للزراعي، وبهذا يتم إنقاص التلوث والضغط على الموارد المائية في الوقت نفسه. هذه الخطوات المتواضعة تفتح المجال بشكل سريع لسياسات بيئية متكاملة واختصاصات مستقبلية متنوعة في هذا المجال.

5.التوجهات والتوصيات الرئيسة:

استناداً إلى التقييم السابق يمكن تأكيد بعض التوجهات والتوصيات الأساسية التي توصلت إليها الدراسة الإقليمية والتي من المفترض تنفيذها من خلال أدوات المخطط الإقليمي، أو ضمن سياسات الحمايات الوطنية على المستوى الأعلى. وهذا يعدُّ جزءاً من الخطط التطويرية لمفهوم المنظر الطبيعي وإدخاله في الأطر التخطيطية والتنظيمية وإدارة الأراضي. كما أنه يعدُّ مدخلاً لسياسات الاستدامة التي سيكون لها منعكس مباشر على المستويات التخطيطية الأدنى.

تشمل التوجهات والتوصيات الرئيسة المجالات الآتية:

- حماية المناطق الطبيعية ومحيطها
- حماية أماكن الإطلالات
- حماية القمم الجبلية
- حماية مصادر المياه
- حماية التراث التاريخي والحديث.

5-1 حماية المناطق الطبيعية:

يمكن تصنيف مناطق المحميات إلى عدة مجموعات؛ وذلك بحسب تصنيف الاتحاد الدولي للحفاظ على الطبيعة[17]. وقد عرّف الاتحاد الدولي المنطقة المحمية بأنَّها "منطقة من الأرض و/أو البحر مخصصة لحماية التنوع الحيوي والموارد الطبيعية والثقافية المرتبطة بها

[17] هذا التعريف أُعْطِيَ بالتفصيل في التوجيهات بحسب فئات إدارة المناطق المحمية المنشور من قبل الاتحاد الدولي للحفاظ على الطبيعة في عام1994.

وصيانتها وإدارتها من خلال وسائل قانونية أو فعالة أخرى. يعطي هذا التصنيف نقطة الانطلاق لتطبيق مفهوم المنظر الطبيعي والتسلسل الإجرائي للسياسات المقترحة له. ويوضح الشكل رقم (11) إسقاط هذا التصنيف مكانياً على المكونات الطبيعية في محافظة ريف دمشق والمبررات الرئيسة لإدارتها.

الفئة	الاسم	تدار بشكل رئيسي من أجل	أمثلة محتملة في ريف دمشق
1	منطقة طبيعة محمية بشكل كامل	حماية البيئة العلمية (أراضٍ برية)	لا يوجد
2	الحديقة الوطنية	الحفاظ على نظام بيئي والترفية	المنطقة الرئيسة: الجبال العالية منطقة محيمية : وادي الزبداني
3	مكونات طبيعية	الحفاظ على ميزات طبيعية محددة	تلال البادية البركانية. قمم القلمون (الصخور والجروف
4	منطقة طبيعة ذات إدارة محلية (من	المحافظة من خلال إدارة المواقع	غابة عرعر يبرود (لازاب = شجر
5	المناظر الطبيعية المتاخمة للنسج العمرانية	حماية التفاعل التقليدي للناس والطبيعة	* وديان (حلبون وبردى). * الغوطة. * مراعي البادية * محيطات الأديرة (صيدنايا، معلولا، مار موسى)
6	منطقة الموارد الطبيعيةالمحمية	استعمال مستدام للأنظمة البيئية الطبيعية	منطقة تجميع مياه عين الفيجة.سبخة

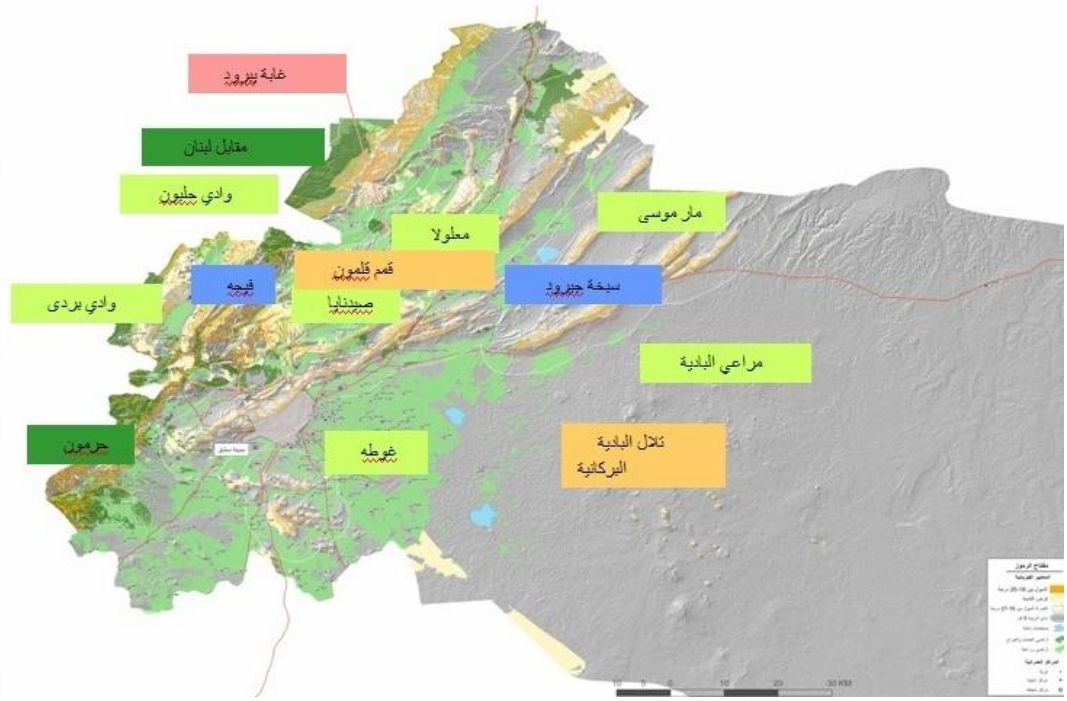

الشكل (11) الأمثلة المحتملة لتطبيقات تصنيف الاتحاد الدولي لحماية الطبيعة في ريف دمشق

المصدر: الشركة العامة للدراسات والاستشارات الفنية، الدراسة الإقليمية لريف دمشق، تقرير المنظر الطبيعي Landscape – المرحلة الثانية، دمشق، 2011.

يؤكد هذا التوزع الأولي للمناطق الطبيعية التنوع الطبيعي الكبير في المحافظة . ويبقى موضوع حماية هذه المواقع وإدارتها أساسياً نظراً إلى أهميتها وخاصة المناطق المحمية منها التي من المفترض أن يعطيها الوضع القانوني القدرة على منع الأضرار الفورية عليها، ولكنه ليس كافياً لمنع التجاوزات غير المقصودة أو البطيئة مثل الحريق والتآكل والتلوث وفقدان التنوع الحيوي. وتحتاج معظم المواقع الطبيعية إلى أن تُدار، وخاصة تلك التي تختلط مع المواقع العمرانية ذات النشاط الإنساني الفعال. إذْ إنَّ تفاعل الناس مع الطبيعة يحتاج إلى حماية[18] وتدخل ضمن الإدارة الأدوات التنظيمية وإجراءات عملية وتوجيهات وبناء القدرات المحلية ورفع الوعي..الخ.

5-2 الإطلالات على المناظر الطبيعية:

تحتاج بعض المناظر والأوابد الطبيعية إلى حماية ليس فقط من التعديات أو التأثير المباشر فيها ولكن أيضاً من الإضعافات البصرية التي يمكن رصدها ورؤيتها من مسافات بعيدة. وقد حددت هذه الإطلالات بنقاط الرؤية من منطقة واحدة، ويطلق عليها عادة بالإطلالة الظلية (منطقة الرؤية من نقطة واحدة لنقطة ما أو خط ما أو منطقة ما)[19].

ويشمل هذا التعريف -على وجه الخصوص- السلاسل الجبلية والتضاريس العالية من مرتفعات المكللة بالجروف الصخرية وخاصة في منطقة القلمون، وكذلك المنحدرات الشديدة الميول والتلال المعزولة في الأراضي المنبسطة.

5-3 المناطق الجبلية ذات الارتفاعات العالية:

إن المناطق الجبلية ذات الارتفاعات العالية هي الموارد الرئيسة لتزويد المياه وضمان التنوع الحيوي. وتدخل في مفهوم المنظر الطبيعي بوصفه مكوناً رئيساً يمكن مشاهدته من مسافة بعيدة جداً مشكلاً هوية المنظر الطبيعي. ومن الضروري أن تتمّ حماية هذا المكون بشكل كامل ليس فقط بالمناطق التي يقع فيها وإنما أيضاً على مسافات كافية حوله لضمان المحافظة عليه من أي تطوير مستقبلي. وهذا الإجراء أُخِذَ به في لبنان حيث حدد المخطط العام لأراضي لبنان حرماً يصل إلى 1500م للمناطق الجبلية المحددة، محظراً عليها أي بناء أو تطوير[20].

5-4 مصادر المياه:

تعدُّ مصادر المياه مناطق محمية بشكل صارم، وفي محافظة ريف دمشق يشكل القسم الأكبر منها منطقة تجميع مياه عين الفيجة. إن حماية هذا المورد تنتج عنه حماية للمناظر الطبيعية والأماكن الطبيعية التي تتعلق به،

[18] هناك معلومات وثيقة الصلة بذلك أكثر على موقع الإدارة يمكن أن توجد في تخطيط الإدارة من أجل خواص تراث عالمي طبيعي: وهو كتاب مرجعي للممارسين الاتحاد الدولي للحفاظ على الطبيعة (غلاند، سويسرا) 2008 ومتوافر على الرابط http://cmsdata.iucn.org/downloads/whmanagement.pdf وهذا الكتاب يقدم إطار عمل من أجل تخطيط الإدارة من أجل التراث الطبيعي: ملخّص للمبادئ المرشدة ونظرة عامة عن المراحل الرئيسة في إعداد خطة الإدارة والتوصيات عن محتوى الخطة ذاتها، ومن أجل المناظر الطبيعية الثقافية (وليس فقط التراث العالمي) انظر أيضاً المناظر الطبيعية الثقافية للتراث العالمي وكتاب الجيب من أجل المحافظة والإدارة، مركز التراث العالمي في اليونسكو (باريس) 2009 وهو متوافر على الرابط http://whc.unesco.org/en/series/26

[19] الشركة العامة للدراسات والاستشارات الفنية، **الدراسة الإقليمية لريف دمشق، تقرير المنظر الطبيعي** –**Landscape** المرحلة الثانية، دمشق، 2011.

[20] **Eric Verdeil, Ghaleb Faour et Sebastien Velut,** Atlas du Liban, Territoires et Sociétés, Beurouth, Liban 2007.

ويجب أن يبقى صارماً ومؤكداً وربما مع تكييفات ثانوية جداً لتسهيل حياة المجتمعات الموجودة ضمنه، شـرط أن لا ترى المؤسسة العامة لمياه الشرب والصرف الصحي أي خطرٍ على جودة المياه نتيجة لذلك.

5-5التراث التاريخي:

تقتصر حمايات التراث في سورية على التراث الأثـري والأوابد التاريخية. وتـشمل أبنيـة معماريـة وبعـض المجموعات العمرانية والإنشاءات التاريخية المهمة (مثل الجسور والمدن الميتة ..الخ). تظهر إمكانـات محافظـة ريف دمشق ضرورة لحماية أوسع وأعمق للمزيـد مـن الأوابد التاريخية والمواقع الأثرية تحت التشريع الموجود حالياً. ويتطلب ذلك رصداً دقيقاً للمواقع الأثرية وهذا مـا تم عمله فعلاً من قبل الاختصاصيين المعنيين في الدراسة الإقليمية لريف دمشق التي استندت إلى خمسة مستويات في تصنيف المواقع الأثرية،[21] ، ومن ثمَّ اقتراح طرائـق لحمايتها تتناسب وهذا التصنيف.

ويبقى موضوع المناطق المحيطـة بـالمواقع والأوابـد المحمية التي تظل غير محمية بحد ذاته عالقاً، ويتطلـب إجراءات حماية تؤسس من خلال خطط محلية. فـضلاً عن وجود مواقع لتجمعات عمرانية حية تتميّز بثقافـات وعادات مميزة يجب أن تُدرَسُ أيضاً لوضـع مـستوى لخطط محلية أكثر ملاءمة لها. (مثل مجموعـة القـرى الزراعية في وادي بردى).

6- النقاط الختامية:

يحقّق تطبيق التوجهات والتوصيات السابقة على المستوى الإقليمي محتوى طبيعياً محمياً يمثل للتجمعات العمرانية وخاصة المدن الكبرى منها طريقاً لتطبيق سياسيات التنمية والتطوير المستدام. وتظهر دراسة المنظر الطبيعي لمحافظة ريف دمشق الفائدة الكبيرة في ضرورة استكمال هذا النوع من الدراسات على كامل القطر. وتبيّن التوجهات التي تم التوصل إليها أهميتها الخاصة ليس على المستوى الإقليمي فحسب، من حماية وحفاظ وتنمية للمكونات الطبيعية والثقافية. وإنما على المستوى المحلي أيضاً حيث واقع المدن السورية إذْ يبقى التحدي الأكبر فيها، هو الازدياد في سرعة تغيّر المنظر الطبيعي في مناطقها بسبب التطورات العمرانية التي تؤلف مع الوقت إطاراً بيتونياً مسيطراً يهدد بدوره مع الوقت، الأراضي المحيطة الأبعد. ومن ثمَّ تضيع الفرصة أمام الأجيال القادمة لأي كلام عن منظر طبيعي بمفهومه الواسع.

الشكل (12) الأطر البيتيونية في محيط دمشق

المصدر الباحث

يتطلب هذا التحدي العمل بسرعة وفي اتجاهين:

الأول يعتمد على الحماية والحفاظ على المستويات الإقليمية للمحتوى الطبيعي مع تحديد صارم لحرماته.

الثاني يتطرق لتطبيق التنمية المحلية المطلوبة، وهذا الأخير يتطلب دراسة معمقة ونقاشات موسعة تسهل التوصل إلى إجراءات أساسية تعتمد بدورها على

[21] الشركة العامة للدراسات والاستشارات الفنية، **الدراسة الإقليمية لريف دمشق، تقرير الأثار**– المرحلة الثانية، دمشق، 2011.

محورين رئيسين، الأول اجتماعي ويستند إلى تطوير التواصل بين المواطنين والسلطات في حسن إدارة أراضيهم، وتوعية الطبقات الاجتماعية المختلفة وتعريفهم بالمفاهيم الجديدة وإظهار جدية حاجة الناس لها. والآخر سياسي قانوني يتناول تطوير السياسات العمرانية وخاصة إدخال دراسات الأثر البيئي بشكل إجباري إلى المشاريع العمرانية.

إن التصنيف النموذجي الذي اتُّبِعَ لوحدات المنظر الطبيعي على المستوى الإقليمي والسياسات المقترحة له من حفاظ وترميم وإحياء، له الأثر الأكبر في التطبيقات المحلية لما يحمله من دلالات ايكولوجية بيئية، وتنموية تنعكس بشكل رئيسي على الناحية السياحية، وجمالية تتعلق بنوعية الحياة والثقافة والهوية المكانية.

وللتوصل إلى هذا الانتقال المنهجي، يتطلب ذلك خطوات طويلة ومعقدة ترتكز على تحديد المجالات القادرة على تغيير الممارسات الخاطئة والمترسخة في العقليات والعادات، وإنشاء اختصاصات ومهن مدينية جديدة (Landscape Architecte)[22]، تهتم بعمران المنظر الطبيعي. وهنا فقط يدخل الحديث عن الاستدامة والأجيال المستقبلية التي من الواجب التفكير بها.

[22] **Jala Makhzoumi, Gloria Pungetti,** Ecological Landscape, Design & Planning, The Mediterranean Context, E&FN Spon London and New York, 1999.

المراجع:

1. منشورات **الاتحاد الدولي للحفاظ على الطبيعة**، IFLA، عام 1994.
2. الشركة العامة للدراسات والاستشارات الفنيـــة، **الدراسة الإقليمية لمحافظة ريف دمشق، تقارير الدراسات الاختـــصاصية** – المرحلـــة الثانيـــة، دمشق، 2011.
3. **المكتـــب المركـــزي للإحـــصاء**، تعـــداد 2004 وإسقاطات 2010، دمشق، 2010.
4. **جالا المخزوني**، "المناظر الطبيعية في الـــشرق الأوسط: استفسار"، بحث عن المناظر الطبيعية، الجامعة الأمريكية، بيروت، المجلد27.
5. توجيهات عملية من أجل تنفيذ اتفاقيـــة التـــراث العالمي، 2000، الفقرة47.
6. **Eric Verdeil, Ghaleb Faour et Sebastien Velut,** Atlas du Liban, Territoires et Sociétés, Beurouth, Liban 2007.
7. **Ghalia Chahine,**Pour une approche globale de l'agriculture périurbaine, Urbanité, printemps, 2011.
8. **Frédéric Husseini,** Patrimoine et paysages, protection et réalités, Vivre et Habiter le paysage au Moyent Orient, Actes du colloque, Beyrouth-Liban, 29 et 30 novembre, 2005.
9. **Jala Makhzoumi, Gloria Pungetti,** Ecological Landscape, Design & Planning, The Mediterranean Context, E&FN Spon London and New York, 1999.
10. **Joel Thibert**, Les villes américaines investissent dans l'espace public, Revue urbanité, 2011.
11. **Philippe Poullaouec-Gonidec**, Vivre et Habiter le Paysage au Moyen Orient, Actes de Colloque Beyrouth 29 et 30 novembre, 2005.
12. **Skaff, P.**, "La Republique du beton", Dar Al-Nahar, Beyrouth, 2002.
13. **World Heritage Cultural Landscapes,** A handbook for Conservation and Management, Unesco, world heritqge papaers 26, Decembre 2009.
14. http://portal.unesco.org/en/ev.php-URL_ID=17716&URL_DO=DO_TOPIC&URL_SECTION=201.html, http://unesdoc.unesco.org/images/0013/001325/132540e.pdf, http://unesdoc.unesco.org/images/0013/001325/132540a.pdf
15. http://whc.unesco.org/en/activities/477
16. http://whc.unesco.org/archive/opguide05-arb.pdf
17. http://whc.unesco.org/archive/opguide08-en.pdf,
18. http://cmsdata.iucn.org/downloads/whmanagement.pdf
19. http://whc.unesco.org/en/series/26

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق 2012/4/22.